جملة (ولو أننا) معطوفة على جملة (وما يشعركم) باعتبار كون جملة (وما يشعركم) عطفا على جملة (قل إنما الآيات عند ا) فتكون ثلاثتها ردا على مضمون جملة (وأقسموا با جهد أيمانهم لئن جاءهم آية) إلخ وبيانا لجملة (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) .

روي عن ابن عباس : أن المستهزئين الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحارث بن حنظلة من أهل مكة . أتوا رسول ا صلى ا عليه وسلم في رهط من أهل مكة فقالوا : " أرنا الملائكة يشهدون لك أو ابعث لنا بعض موتانا فنسألهم : أحق ما تقول " وقيل : إن المشركين قالوا : : لا نؤمن لك حتى يحشر قصي فيخبرنا بصدقك أو ائتنا با والملائكة قبيلا أي كفيلا " فنزل قوله تعالى (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) للرد عليهم . وحكى ا عنهم (وقالوا لن نؤمن لك إلى قوله أو تأتي با والملائكة قبيلا) في سورة الإسراء .

وذكر ثلاثة أشياء من خوارق العادات مسايرة لمقترحاتهم لأنهم اقترحوا ذلك وقوله (وحشرنا عليهم كل شيء) يشير إلى مجموع ما سألوه وغيره .

والحشر : الجمع ومنه (وحشر لسليمان جنوده) . وضمن معنى البعث والإرسال فعدي بعلى كما قال تعالى (بعثنا عليكم عبادا لنا) .

(وكل شيء) يعم الموجودات كلها . لكن المقام يخصصه بكل شيء مما سألوه أو من جنس خوارق العادات والآيات فهذا من العام المراد به الخصوص مثل قوله تعالى في ريح عاد (تدمر كل شيء بأمر ربها) والقرينة هي ما ذكر قبله من قوله (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى) .

وقوله (قبلا) قرأه نافع وابن عامر وأبو جعفر بكسر القاف وفتح الباء وهو بمعنى المقابلة والمواجهة أي حشرنا كل شيء من ذلك عيانا . وقرأه الباقون بضم القاف والباء وهو لغة في قبل بمعنى المواجهة والمعاينة ؛ وتأولها بعض المفسرين بتأويلات أخرى بعيدة عن الاستعمال وغير مناسبة للمعنى .

و (ما كانوا ليؤمنوا) هو أشد من (لا يؤمنون) تقوية لنفي إيمانهم مع ذلك كله لأنهم معاندون مكابرون غير طالبين للحق لأنهم لو طلبوا الحق بإنصاف لكفتهم معجزة القرآن إن لم يكفهم وضوح الحق فيما يدعو إليه الرسول عليه الصلاة والسلام . فالمعنى : الإخبار عن انتفاء إيمانهم في أجدر الأحوال بأن يؤمن لها من يؤمن فكيف إذا لم يكن ذلك . والمقصود

انتفاء إيمانهم أبدا .

(ولو) هذه هي المسماة (لو) الصهيبية وسنشرح القول فيها عند قوله تعالى (ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) في سورة الأنفال .

وقوله (إلا أن يشاء ا) استثناء من عموم الأحوال التي تضمنها عموم نفي إيمانهم فالتقدير : إلا بمشيئة ا أي حال أن يشاء ا تغيير قلوبهم فيؤمنوا طوعا أو أن يكرههم على الإيمان بأن يسلط عليهم رسوله A كما أراد ا ذلك بفتح مكة وما بعده . ففي قوله (إلا أن يشاء ا) تعريض بوعد المسلمين بذلك وحذفت الباء مع (أن) .

ووقع إظهار اسم الجلالة في مقام الإضمار : لأن اسم الجلالة يومئ إلى مقام الإطلاق وهو مقام (لا يسأل عما يفعل) ويومئ إلى أن ذلك جرى على حسب الحكمة لأن اسم الجلالة يتضمن جميع صفات الكمال .

والاستدراك بقوله (ولكن أكثرهم يجهلون) راجع إلى قوله (إلا أن يشاء ا) المقتضي أنهم يؤمنون إذا شاء ا إيمانهم : ذلك أنهم ما سألوا الآيات إلا لتوجيه بقائهم على دينهم فإنهم كانوا مصممين على نبذ دعوة الإيمان وإنما يتعللون بالعلل بطلب الآيات استهزاء فكان إيمانهم في نظرهم من قبيل المحال فبين ا لهم أنه إذا شاء إيمانهم آمنوا . فالجهل على هذا المعنى : هو ضد العلم . وفي هذا زيادة تنبيه إلى ما أشار إليه قوله (إلا أن يشاء ا) من أن ذلك سيكون وقد حصل إيمان كثير منهم بعد هذه الآية . وإسناد الجهل إلى أكثرهم يدل على أن منهم عقلاء يحسبون ذلك